حرية المسرح

- تتحدث كثيرا عن حرية المسرح واستقلاله فماذا تعني؟!

حرية المسرح هى حرية الفنان أن يبيع ما يشاء من أفكار وأشكال وأساليب فنية، واستقلاله هو ألا يكون تابعاً لأحد أو جهة أو تحت وصاية مباشرة أو ضغط مباشر، فكم عانى (ميخائيل رومان وشوقى عبد الحكيم ونجيب سرور وعبد الرحمن الشرقاوى وسمير العصفوري) من هؤلاء البصاصين وكتبة التقارير الأمنية والسياسية فى ظل استئثار الدولة بالكامل بمقدرات الإنتاج المسرحى سواء دور العرض والأجهزة الفنية، وأساساً خزينة المال التى تصرف منها أجور الفنانين والإداريين واحتياجات الإنتاج.

- هل يعنى ذلك أن هؤلاء المبدعين كانوا معرضين طول الوقت للرقابة الصارمة التى تمنع عنهم حريتهم فى تناول موضوعاتهم بالقدر الذى يرضيهم؟

ليس هذا فقط، ففى فضيحة مسرحية الفتى مهران تأليف عبد الرحمن الشرقاوى ١٩٦٦ والتى سبق أن حدثتك عنها، حيث شاركت جوقة كبيرة ممن وضعت أسماؤهم تحت لائحة

النقاد فى الهجوم على الشرقاوى ومسرحيته، وكان من بينهم محمود أمين العالم ومحمود السعدنى وبهيج نصار وأحمد عباس صالح وأحمد بهجت وأمير إسكندر وغيرهم، فكاد أن يرسل عبد الناصر كلاً من الشاعر والمخرج .. وباقى أبطال العرض، إلا أنه تدارك الأمر فأوحى لموسى صبرى وكان حين ذاك من أبرز أصوات السلطة الرسميين، حين كتب مقالا يتظاهر فيه بالدفاع عن الشرقاوى ومطاوع والفتى مهران، ويظهر السلطة بمظهر موضوعى زائف، وإلا كان الشرقاوى قد لحق بابن عمه الذى كان يعذب حينها بالسجن الحربي، ومن قبل حدث نفس الشئ مع نجيب سرور حين إختلف مع جلال الشرقاوى فى تفسيراته لمسرحية (آه يا ليل قمر) ففتح عليه نفس الأشخاص السابق ذكرهم النار متظاهرين بالدفاع عن الفن المسرحي، وما كانوا يلوكونه عن الاشتراكية المزعومة، ولكن لسوء حظ هؤلاء جميعاً أن نجيب سرور أثبت هذا فى كتابه (حوار فى المسرح).

هذه الجوقة تترصد حرية المسرح وحرية الفنانين والمثقفين، أما مديرو الفرق فكانوا يتحكمون فى إختيار النصوص والمؤلفين والمخرجين، ومن ثم جدولة الموسم المسرحى لكل عام مسبقاً. تلك هى الصيغة الشمولية وعندك ياسين وبهية التى كان قد بدأ بها مسرحه فى ذلك الحين، والتى رشحت للمشاركة فى مهرجانى دمشق وقرطاج المسرحيين.

ومسرحية قولوا لعين الشمس تأليف نجيب سرور وإخراجه والتى مرض أثناء إخراجه لها ولم يستطع إكمالها فتولاها

المخرج توفيق عبد اللطيف. أغلقت بقرار من السيد بدير مدير عام هيئة المسرح آنذاك، بحجة أنها لم تكمل النصاب المطلوب من الإقبال الجماهيرى غير أننى كشاهد عاش حياة هذه المسرحيات ببروفاتها وعروضها أشهد أن الإقبال كان استثنائياً على هذه المسرحيات، والسبب فى ذلك أن هذه المسرحيات كانت خارجة عن السياق الفكرى الذى كانت السلطة حريصة على ألا يخرج عنه أحد، خاصةً بعد أن ذاقت تجربة الفتى مهران من حيث التجرؤ على السلطة.

وفى هذا السياق تم إعطاء دفعات استثنائية للمجموعة المسماه الفنانين المتحدين التى أنتجت مسرحيات كانت إيذاناً بانتهاء نظم التعليم القديمة (مدرسة المشاغبين) تمهيداً لنظم اللا تعليم الحالية، وتمهيداً لتصفية النظام الأسرى المصرى التقليدى حيث تكون الكلمة فيها لرب الأسرة أى الأب (العيال كبرت) وبالطبع أحوال الأسرة المصرية حالياً لا تسر عدو ولا حبيب، تلك المسرحيتان كانت الدولة تكرر إذاعتهما فى أوقات الأزمات السياسة كى تلهى المشاهدين، فضلا عن مسرحيات تافهة أخرى من تأليف سمير خفاجى مثل مجنون بطة ! وللحق فإن المسرحية الوحيدة التى خرجت عن هذا السياق هى مسرحية سيدتى الجميلة والتى تميزت بجمال الأداء التمثيلى والموسيقى والغناء والإخراج أيضاً، ولكن بكل أسف مخرجها أسس داراً مسرحياً فوق أرض حديقة معهد الموسيقى العربية أسماها (مسرح الفن) قدم عليها كومة من المسرحيات التجارية لا علاقة لها بالفن ولا بستانسلافيسكى صاحب هذه التسمية.